



## الميزان

### ملخص الخطبة

١- الميزان يوم القيامة ٢- ما الذي يوزن في الميزان ٣- الأعمال التي تُثقل الميزان

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ونحن اليوم بحول الله ومدده على موعد مع اللقاء الثامن عشر من لقاءات هذه السلسلة الكريمة، وكنا قد توقعنا في اللقاءات الخمسة الماضية على التوالي مع البشرية كلها وهي تقف كلها على بساط العدل في ساحة الحساب بين يدي الملك جل جلاله، وتعرفنا على أهم قواعد العدل التي يحاسب بها الله في ساحة الحساب، وتعرفنا على أول أمة ينادى عليها لتحاسب بين يدي الله جل وعلا، وتعرفنا على أول من يقضي الله بينهم وعلى أول ما يحاسب عليه العبد، وعلى أول حق من حقوق العباد يقضي الله فيه بين الخلق، ثم تعرفنا في اللقاء الماضي على أصناف الناس فقلنا بأن من الناس من يأخذ كتابه بيمينه ويحاسبه الله حساباً يسيراً، ومن الناس من يأخذ كتابه بشماله وراء ظهره ويحاسبه الله حساباً عسيراً.

ومن الناس من يدخل مباشرة من غير حساب ولا عذاب.

هل يا ترى بانتهاج الحساب تنتهي أهوال القيامة!!!

كلا... كلا!!!

بل إذا انقضى الحساب أمر الله جلا وعلا أن ينصب الميزان فإن الحساب لتقرير الأعمال، وإن الوزن لإظهار مقدارها ليكون الجزاء بحسابه وليظهر عدل الله للبشرية كلها في ساحة الحساب فتوزن أعمال المؤمن لإظهار فضله، وتوزن أعمال الكافر لإظهار خزيه وذلك على رؤوس الأشهاد وما ريك بظلام للعبيد.

والآن نسأل...

ما هو الميزان؟!

ما الذي يوزن فيه؟!!

ما هي الأعمال التي تثقل في الميزان يوم القيامة!!!

هذه الأسئلة الثلاثة هي موضوع لقاءنا مع حضراتكم، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.



أولاً: ما هو الميزان؟!

الميزان على صورته وكيفيته التي يوجد عليها الآن من الغيب الذي أمر الصادق المصدوق أن نؤمن به من غير زيادة ولا نقصان، وهذه هي حقيقة الإيمان، فيا خسران من كذب بالغيب وأنكر وضع الميزان، و قدح في آيات الرحيم الرحمن واستهزاء بكلام سيد ولد عدنان، ثم تطاول فقال قول ملحد خبيث جبان: " لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال أو الفوال " وما أحرأه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً (١) [١].

لأنه بجعله وغبائه وانغلاق قلبه ظن أن ميزان الآخرة كميزان الدنيا، ومن البدهي أن جميع أحوال الآخرة لا تكيف أبداً ولا تقاس البتة بأحوال الدنيا، ولقد نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله إجماع أهل السنة على: الإيمان بالميزان وأن الميزان له لسان وكَفَتَان - بكسر الكاف وفتحها واللغتان صحیحتان - وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة.

وقال الإمام بن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية المشهورة قال: " والذي دلت عليه السنة أن الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة له كفتان حسيتان مشاهدتان "أ.هـ. (٢) [٢]. والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

أيها المسلم لا يعلم حقيقة الميزان وطبيعة الميزان وكيفية الميزان إلا الملك الرحمن، وإلا فهل تستطيع أن تتصور ميزانا يوضع في يوم القيامة يقول فيه المصطفى : ((لو وزنت فيه السموات والأرض لو زنها)).

كيف تصور هذا الميزان؟!

ففي الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرک وصححه على شرط مسلم وأقر الحاكم الذهبي بل وصحح إسناد الحديث الألباني في السلسلة الصحيحة من حديث سلمان الفارسي أن الحبيب النبي قال: ((يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لو زنها، فإذا رآته الملائكة قالت: يارب لمن يزن هذا؟ قال: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)). تأمل.. لقد عرفت الملائكة أنها ما عبدت الرحمن حق عبادته من شدة الهول والرعب، فإن مشهد الميزان من أروع مشاهد القيامة فالميزان حق، قال جل وعلا وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء: ٤٧].

بين الله تعالى أنه يضع الموازين بالقسط (أي بالعدل) وكفى بالله جل وعلا حسيبا، والراجح من أقول أهل العلم أن الميزان يوم القيامة ميزان واحد.

فما جوابك على الجمع في قوله تعالى ونضع الموازين الراجح من أقوال العلماء أن الجمع في الآية باعتبار تعدد الأوزان أو الموزون، لأن الميزان يوزن فيه أشياء كثيرة، وبين الملك العدل أن الميزان إن ثقل لو بحسنة واحدة فقد سعد صاحبها سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف الميزان ولو بسيئة



واحدة فقد شقى صاحبه شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، قال جل وعلا: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ [المؤمنون: ١٠١-١٠٤].

انظر إلى دقة عدل الملك وسعة فضله؛ من ثقل ميزانه ولو بحسنة واحدة سعد سعادة لا شقاوة بعدها أبداً، ومن خف ميزانه بأن كان من أهل الشرك شقى شقاوة لا سعادة بعدها أبداً، أما من استوت موازينه، أي استوت حسناته مع سيئاته، فهو على الراجح من أقوال العلماء من أهل الأعراف الذين قصرت بهم سيئاتهم فلم يدخلوا الجنة ومنعتهم حسناتهم من أن يدخلوا النار، يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، إذا التفت أهل الأعراف إلى أهل الجنة سلموا عليهم سَلامًا عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ [الأعراف: ٤٦].

أى لم يدخلوا أهل الأعراف الجنة وهم يرجون رحمة الله، ويطمعون أن يدخلوا الجنة، وإذا التفتوا إلى الناحية الأخرى ورأوا أهل الجحيم تضرعوا إلى الملك العليم ألا يجعلهم مع القوم الظالمين.

قال جل وعلا: وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوُا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامًا عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [الأعراف: ٤٦-٤٧].

إذا أيها المسلم الموحد حرى بك إذا ما تعرفت على أقسام الموازين الثلاثة ألا تحتقر أى عمل صالح ولو قل، وألا تستهين بمعصية واحدة ولو صغيرة، فاعلم أنه بحسنة واحدة يتقل الميزان وبسيئة واحدة يخف الميزان، بل بكلمة واحدة نقاد إلى رضا الرحمن، وبكلمة واحدة ننال سخط الجبار.

ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبى قال: ((إن العبد ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها فى الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً فيهوى بها فى جهنم)) (٣) [٣].

قد يستهين كثير منا بخطورة الكلمة، وكلمة أشعلت حروباً بين أمم ودول !! وكلمة من كلمات أطفأت حروباً بين أمم ودول.

يا صاحب الكلمة اعلم علم اليقين أن كلمة تدخل المرء فى دين الله، وكلمة تبني بيتاً وكلمة تهدم بيتاً، وكلمة تحل فرج امرأة لرجل، وكلمة تحرم فرج امرأة لرجل.

فالكلمة لها خطرهما الجسيم فى دين الله فكلمة تنال الرضوان، وكلمة تتعرض لسخط الرحمن، فحسنة تنقل ميزان العبد وتدخله الجنة وسيئة تخف ميزان العبد وتدخله النار، لذا ثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى ذر أن النبى قال: ((لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقَ أخاك بوجه طلق)) (٤) [٤].

لا نقل هذا عمل بسيط، هذه طاعة صغيرة أو حقيرة، فكم من عمل صغير عظمته النية !! وكلمة من



عمل عظيم حقرتة النية!!

فلا تحقرن من المعروف شيئاً فإن عجزت فإنك لن تعجز أيها المسلم أن تهش وتبش في وجه إخوانك، فما من بيت تخلو منه المشاكل، فابتسامتك هذه التي تحتقرها من الممكن أن تسعد قلب حزين، فابتسامتك هذه ممكن أن تزيل ألم أخيك النفسى، فما ذنب أخيك أن تلقاه بوجه عبوس كئيب. بل لقد أخبرنا الصادق المصدوق ، كما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة: ((أن امرأة بغياً رأته كلباً فى يوم حار يطوف بيئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها (أى أنها استقت له من البئر، والموق هنا هو الخف) فغُفر لها))([5](5)).

أود أن أقول: إذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الخطايا للبغايا فكيف تصنع الرحمة بمن وحد رب البرايا؟!!

نعم نحتاج إلى رحمة، نحتاج إلى رفق، فالرحمة والرفق لا يهدمان ولا يفسدان أبداً، والشدة والعنف يهدمان ويفسدان، هذه سنة الله فى خلقه، ما كان الرفق فى شىء إلا زانه وما نزع الرفق من شىء إلا شانه.

فى الصحيحين البخارى ومسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : ((عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت جوعاً، فدخلت فيها النار قال: فقال - والله أعلم - لا هى أطعمتها ولا سقتها حين حبستها ولا هى أرسلتها تأكل من خشاش الأرض))([6](6)).

لذا يأمرنا الصادق المصدوق كما فى الصحيحين من حديث عدى بن حاتم يقول : ((اتقوا النار، ولو بشق تمره))([7](7)).

فقد ينجو العبد من النار بشق تمره، فإن ثقل الميزان بحسنة سعد العبد بعدها سعادة لا شقاوة بعدها أبداً، وإن خف الميزان ولو بسيئة شقى العبد شقاوة لا سعادة بعدها أبداً، وإن تساوت الموازين فهو من أهل الأعراف والراجح من أقوال أكثر أهل العلم أن الله جل وعلا يتغمدهم برحمته فيدخلهم الجنة.

ثانياً: ما الذى يوزن فى الميزان؟

أيها الأحبة فى الله:

لقد اختلف أهل العلم فى الجواب على هذا السؤال على ثلاثة أقوال، فأعرنى قلبك وسمعك جيداً فإن الموضوع منهجى دقيق يحتاج إلى حسن متابعة.

أولاً: القول الأول

إن الذى يوزن فى الميزان هو الأعمال ذاتها - أى أعمال العبد من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وير وصدقة وغير ذلك من الطيبات الصالحات.

ولكن رفض البعض وقالوا: هذه الأعمال أعراض لا أجسام، والأعراض لا توزن ولا توضع فى



الميزان، فكيف توزن الصلاة وهي ليست حجم؟! وكيف توزن الزكاة وهي كذلك؟! فكيف تقولون بأن الأعمال هي التي توزن يوم القيامة؟! والجواب: أن الله جل وعلا يوم القيامة يحول الأعراض إلى أجسام توضع في الميزان يخف الميزان ويثقل بحسب الحسنات والسيئات. والأدلة على ذلك من السنة الصحيحة كثيرة فتدبر معي، أرف إليك سيلاً من الأدلة الصحيحة من السنة.

روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى قال: ((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)) ((٨) [٨]). انتبه يا مسلم الرسول يقول كلمتان عرض وليس جسماً بهما يثقل الميزان.

بل فى الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان وصححه شيخنا الألبانى فى مشكاة المصابيح من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى قال: ((ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق)) ((٩) [٩]).

فحسن الخلق أثقل شىء فى ميزان العبد يوم القيامة، بل وأخبرنا الصادق المصدوق أن القرآن الكريم يأتى يوم القيامة ليقف أمام العبد بين يدي الله جل وعلا على هيئه غمامة، أى على هيئه ظلة على رأس العبد يوم القيامة ليشفع له أمام الله، بل ويحاج القرآن عن العبد بين يدي الحق تبارك وتعالى. اسمع ماذا قال المصطفى والحديث رواه مسلم من حديث أبى أمامه الباهلى يقول الصادق المصدوق: ((اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شافعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحجان عن صاحبهما اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة (السحرة)) ((١٠) [١٠]).

وفى صحيح مسلم يقول المصطفى: ((يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا، تقدمه سورة البقرة وآل عمران كأنهما غيايتان وبينهما شرف أو كأنهما غمامتان سوداوان بينهما شرف أو كأنهما ظلة من طير صواف تحجان عن صاحبهما)) ((١١) [١١])، أى بين يدي الله جل وعلا.

كل هذه أدلة من السنة الصحيحة على أن الأعراض تتحول يوم القيامة إلى أجسام وما استطعنا أن نعى كل هذه الحقائق إلا لأننا أردنا أن نحكم قوانين الآخرة الغيبية بقوانين الدنيا الحسية فعجزنا. أيها المسلم لا تعطل ولا تكيف ولا تمثل ولا تشبه، فلا يستطيع أحداً منا الآن أن يعاند أو يكابر أو يمتنع عن الاعتراف بعالم يعيش بيننا، آلا وهو عالم النحل، بل ولا يستطيع أحد منا أن ينكر أن النمل يتكلم بدليل أن الله لما فك رموز لغة النمل لسليمان عليه السلام، فهم سليمان لغة النمل



وتجاوب مع النمل، فقد سجل الله فى قرآنه العظيم: حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا  
النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ